

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

نشرة
مجلة الأسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٨٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧ — ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المصادفة والتاريخ

للأستاذ عباس محمود العقاد

—>>><<<—

سبق إلى أذهان الكثيرين من النقاد العسكريين ، فضلا عن سواد الناس ، أن النازيين أحكموا خطط الميادين كلها وفرغوا من إعداد وسائلها قبل هجومهم على بولونيا ، ومنها خطط الميادين الفرنسية والميادين الروسية . وظل هذا الاعتقاد عالقاً بالأذهان إلى ما بعد هزيمة ألمانيا واحتلال أرضها .

فلما تم هذا الاحتلال كان أول ما اهتم به الحلفاء جمع الأوراق والأسانيد من محفوظات الدولة ، ولا سيما المحفوظات السرية في وزارة الدفاع .

فإذا بذلك الظن يتبدد كله بعد الاطلاع على أوراق القيادة العليا ، وإذا بالوثائق المتكررة تدل على أن القيادة العليا فوجئت بهزم هتلر على غزو فرنسا ، وإذا بهتلر نفسه يستعجل هذا الغزو على غير سابقة من البحث في خطته واحتمالانه ، لأنه كان يظن أن عقد الصلح بعد هزيمة بولونيا ومحالفة روسيا مستطاع ، ولكنه رأى من الحلفاء إصراراً على المساومة ، وعلم أنه استنفد وسائل استمداده فلا مزيد عليها ، وكلما مضى شهر على الحرب نقصت قوته وزادت قوة الحلفاء حتى تنافرت لهم أسباب الرجوعان المعلن

في النهاية .

وفوجئ القادة باستمجاله فعارضوه أشد معارضة ، وأطلوه على حقيقة الخطر من هذه المجازفة ، ولكنه سلم لهم رأيهم من الوجهة العسكرية بمعنى التسليم ، وتذرع بما لديه من « المعلومات السياسية » لتصويب البدء بالهجوم على فرنسا من هذه الوجهة . وجاء دور الخطة التي يعتمدونها في النفاذ إلى الأرض الفرنسية من وراء خط « ماجينو » ومن وراء الحدود المفلقة . لم يكن هتلر قد وضع خطة لهذه الغزوة ولا هو الذي وضعها بعد موافقة القواد إياه ، خلافاً لما سبق إلى الظن أيضاً بعد نجاح الخطة على غير انتظار .

إنما كانت هذه الخطة من عمل « هتلر » رئيس أركان الحرب ، وقد اعتمدها هتلر بعد مراجعتها ، وكانت في مبدأ وضعها شبيهة بالخطة التي غزت بها فرنسا من ناحية بلجيكا في الحرب العالمية الأولى .

ولكن ضابطاً شاباً علم بهذه الخطة فانتقدها ، وقال إنها مكشوفة يسهل تقديرها وانقاؤها ، ومن الواجب تركيز الهجوم الأكبر على جبهة غير الجبهة البلجيكية الغربية ، وهي جبهة « الأردن » ، لأن الهجوم فيها غير منتظر ، والمفاجأة من قبله أقرب إلى النجاح .

اسم هذا الضابط الشاب ثون مانشتين ، وقد سخط عليه رؤساؤه لاجترائه على انتقادهم ، وحسبوا أنه يشق طريقه على رؤوسهم إلى ثقة هتلر وإعجابه ، فنفذوا الخطة مضطربين لأنها

عنصر المصادفة . فلو أن المدد البروسى وصل إلى « واترلو » قبل وصول المدد الفرنسى لكان من الجائز جداً أن يختلف مصير نابليون في ذلك الميدان .

ذلك عمل المصادفة في أعظم حوادث التاريخ .

ولا بد للمؤرخ من تسجيله وإعطائه كل حقه ، لأنه واقع لا يحسن إغفاله ، ولأنه نافع للماملين وفيه عزاء لهم وشجذ لرجائهم فأما أنه نافع فلا أنه لازم في كل تقدير صحيح .

وأما أنه يوليهم العزاء والرجاء فلا أنهم ينتظرون بقية مأمولة بعد استنفاد الحيل وبذل الجهود .

ومن هنا كان خليقاً بمؤرخنا الأديب الأستاذ محمود الخفيف أن يطأئ إلى نصيب صاحبه لئلا يكون من التعظيم والإعجاب ، بعد ما عرف من أثر المصادفة في نجاحه .

فهكذا الشأن في كل حادث عظيم !

وهكذا الشأن في كل رجل عظيم !

وكل مطلع على التاريخ لن يخرج مما كتبناه عن لئكون بأنه مدين للمصادفة بكل شيء ، ولكنه يخرج منه بأن المصادفة كانت شيئاً في تاريخ حياته وفي أسباب نجاحه ، وكل شيء في تواريخ الغلاء وفي أسباب نجاحهم لا غنى عن تسجيله والتنبه إليه

قلنا في قصة سارة إن « الدومينة عينا أنم الألباب » لأن الشطرنج والضامة يعولان على الحيلة ، وكل شيء فيهما مكشوف بعد ذلك ، والنرد يعول على المصادفة والذكاء ، وكل شيء فيه مكشوف بعد ذلك ، والورق إما مصادفة وإما صراع فلما يشبه صراع الحياة . أما « الدومينة » ففيها حساب للمصادفة ، وفيها حساب للتقدير ، وفيها حساب لليقين ، وفيها حساب للظنون ، وفيها حساب للغيب الذي تجهله أنت وخصمك ، وللغيب الذي تجهله أنت ويعرفه خصمك ، أو يجمله هو وتعرفه أنت ، وللعيان الذي يعرفه كل من يشاء ، ولها قوانين تمنحك أن تتحرك على هواك ، ولها حرية تمنحك الخيار بين ما في يديك .

فنحن لا نريد تاريخاً من الشطرنج ولا تاريخاً من النرد ، ولا نفي المهارة عن لعبة التاريخ ، لأن لاعبا بعد يده إلى الورق

أصاب هوى من هتلر ، وأبدوا الضابط الشاب عن كل مشاركة في تنفيذها .

ولم يكن هذا التحول المفاجئ أول المصادفات في هذه الغزوة الضخمة ولا آخرها .

فقد انضح من الأوراق الرسمية أن النازيين لم يعرفوا قبل الحرب غاية امتداد خط « ماجينو » على وجه التحقيق ، ولم يعرفوا المواقع التي كانت لا تزال يومئذ في حاجة إلى التزير والامتداد ، فدلهم عليها في اللحظة الأخيرة ضابط نموى من هواة تصوير المناظر من الطائرات .

كان هذا عمل المصادفة في أعظم نجاح أصابه النازيون في الحرب العالمية الماضية ، أو كان هذا عمل المصادفة في انهيار دولة كانت محسوبة في عداد الدول العسكرية الأولى .

وليس هذا كذلك آخر المصادفات في الحرب العالمية ، فإن هتلر أقدم على غزو روسيا وهو يقدر أنه سيحتاجها قبل نزول الشتاء ، ولو أنه استطاع أن يوغل فيها قبل نزوله لكان من الجائز أن يتغير مجرى الحوادث في هذا الميدان .

ولكن مصادفة صغيرة حالت بينه وبين التقدم في الميادين الروسية كما شاء في الوعد القدور .

لأن اليونان رفضت شروط إيطاليا وهزمت الجيوش الإيطالية فاضطر هتلر إلى إرسال فرق من جيوشه إلى ميدان اليونان ، ليستريح من هذه الناحية ويحمي ظهره قبل الإقبال على الأرض الروسية ، مخافة أن يدمه الحلفاء من خلفه وهو مستغرق في قتال الروس .

ولم تنته المصادفات هنا وهي كافية في تحويل مجرى الأمور ، بل اتفق في تلك السنة أن أمطار الشتاء زلت قبل أوانها ، وكان نزولها شديداً قارساً على خلاف المهود في ذلك الموعد من كل سنة والمصادفات في الحرب العالمية الماضية أكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نزيد عليها مصادفة قريبة منا ، وهي مصادفة الملمين وانسياق رومل إلى مطاردة الحلفاء قبل استيفاء حاجته من الوقود واضطراره إلى هذه المطاردة بهذه العجلة اغتناماً لفرصة سانحة لملها لا تعود .

وشأن الحروب الكبرى في الماضي كشأن الحرب العالمية في